ردمد: 2008-9023

جامعة تشرين

جامعة سمنان

دراسات في اللغةالعربية وآدابها

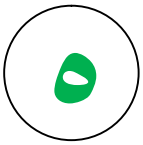

التّراث الدّيني في شعر سميح القاسم شاعر المقاومة الفلسطينية
الدكتور محمّد خاقاني اصفهاني، مريم جلائي
دراسة أهم ضوابط تشخيص القياس الصحيح (في الدرس النحوي)
الدكتور محمد ابراهيم خليفه الشوشتري
الإعجاز البياني للقرآن الكريم من خلال أسلوبية الانزياح
دراسة وصفية-تطبيقية
الدكتورة آفرين زارع، ناديا دادبور
الشخصية اليهودية بين التقابل والتضاد في مسرحية الاغتصاب
الدكتورة حورية محمد حمو
القصة القصيرة العمانية المعاصرة (الريادة والتأصيل)
الدكتور محمد مروشية
تأملات في الفكر النقدي عند "نازك الملائكة"
الدكتور فاروق إبراهيم مغربي
مظاهر الإبداع في مدائح أبي تمام
الدكتورمحمد موسوي، الدكتور شاكر عامري

مجلّة فصليّة محكّمة تصدر عن جامعتي:

سمـــنان ــ إيـــران **تشرين ــ سورية**

السنة الثانية، العدد الخامس، ربيع ١٣٩٠/٢٠١١

الإعجاز البياني للقرآن الكريم من خلال أسلوبية الانزياح
دراسة وصفية – تطبيقية

الدكتورة آفرين زارع*
ناديا دادبور**

الملخص

إعجاز القرآن واحتواؤه على كل شاردة وواردة كان موضوعا طالما اشتغل به الباحثون وراح يتدبر فيه الحازمون لكي ينفضوا غبار الشكوك الذي غطى وجه الحقيقة. فالدراسات التّي قام بها الباحثون غالبا ما تكون في إطار البلاغة أوالمباحث التفسيرية و لم تكن ترنو إلى ترسيخ إعجاز القرآن الكريم في القلوب على حد ذاتها بل هي في سيرها النقدي التحليلي أكدت على إعجازه بشكل غير مباشر.

فهنالك مدارس نقدية حديثة من السريالية والشكلانية الروسية ومدرسة البراغ وغيرها من المدارس التي أسهمت إسهاما كبيرا في ظهور البلاغة الحديثة أي الأسلوبية. ومن أبرز الأسلوبيات التي ظهرت، أسلوبية الانزياح الذي اتكأ على عنصر المفاجاة وخرق درجة الصفر المعيارية.

هذا الازدهار في المدارس النقدية الحديثة جعل البعض يحسب على زعمه بأن العرب قد تخلفوا وابتعدوا عن مجاراة العلوم الحديثة وجعله يظن بأن ما ورد من الآثار الأدبية في اللغة العربية اندثر تحت قوقعة التحجر.

استهدفت هذه المقالة بدراستها الموجزة بوضع أصبعها على إعجاز القرآن معالجة مدى استيعابيته من خلال دراسة نماذج من النص الشريف دراسة وصفية - تطبيقية على أسلوبية الانزياح بأنواعه الثلاثة: الاستبدالية والتركيبية والصوتية. فأهمية هذه الدراسة تظهر حينما يتبين الفاصل الزمكاني الشاسع بين نزول القرآن وظهور الدراسات اللسانية الغربية.

واستنتجت أخيرا بأن كلام الله المجيد يستوعب كل الجماليات الانزياحية، وأسلوبية الانزياح تتماثل بشكل ناضح فيه.

---

* أستاذ مساعد بجامعة شيراز.

** طالبة ماجستير بجامعة شيراز.

تاريخ الوصول: ٨٩/١٢/١ تاريخ القبول: ٩٠/٣/١٨

هذه خطوة صغيرة في سبيل ترقية الأفكار وكسر قوقعة التحجر الذي ارتمى به العرب في أنحاء العالم واستخراج كنوز اللغة العربية التي اختفت في مناجم الجهالة والتغريب.

كلمات مفتاحية: إعجاز القرآن، أسلوبية الانزياح، النقد، التطبيق.

المقدمة

إن القرآن كلام معجز، لا يتلبس بغبار القدم ولا يتكدر إثر مضي الزمن وهو ينبوع الدراسات التي قام بها العرب وغيرهم. فهنالك من تمطى الجاهلية ووسم القرآن وأصحابه بالكلل وعدم الاستطاعة في مواكبة العصر الحديث وبدأ يفتخر ويتبختر بما جاء به الغربيون وظن أن مجهوده تكلل بنجاح ما بعده نجاح غافلاً عما يحتويه الإسلام ولاسيما القرآن، فلابد من اليقظة إثر هذه الغفلة ولابد من الكشف عن الحقيقة؛ فقامت هذه المقالة لتستجيب لما يتطلبه العلماء مبينة إعجاز القرآن وطراوته من خلال دراسة تطبيقية موجزة، فأخذت أسلوبية الانزياح نموذجاً بأنواعها الثلاثة: الاستبدالية والتركيبية والصوتية.

وبدأت تنظر إلى الآي الكريمة من منظور مستأنف جديد وسعت لتبين مواضع الانزياح القرآني الذي أدى إلى جماليته وراحت تنظر بعيون فاحصة وأبصار نافذة لتشيد مجد الإسلام والعالم الإسلامي الذي تجمل بكثير من الأساليب وتزخرف بأحسن البدائع. القرآن شاطئ محيطه لا يبدو وسماء رفعته لا تقدر، فيدنا القصيرة لا تتمكن إلا من دراسة جانب قليل من هذا البحر العظيم والمنهج الذي تتبعته هذه المقالة هوالمنهج الوصفي التطبيقي.

هنالك من قام بدراسات تطبيقية في أسلوبية الانزياح منهم: ميرغني هاشم في مقالة: "أسلوبية الإنزياح ودورها في التحليل النصي"، تامر سلوم في مقالة: "الانزياح الصوتي الشعري"، أحمد نصيف الجنابي في كتابه "البنية والأسلوب في التراكيب القرآنية وقضية الإعجاز"، وغيرهم ممن حاولوا في هذا المجال وقدموا للأدب العربي بضاعة دسمة.

لكنّ هذه الدراسات -على حدّ علمنا- لم تكن في سبيل التأكيد على إعجاز القرآن وإن كانت فيه بشكل غير مباشر، فجمعت هذه المقالة الآراء الموجودة وقامت بتحليل نقدي لمقتطفات من المصحف الشريف بغية التأكيد على إعجازه من منظار جديد.

فالانزياحية وإن كانت من ثمار جهود العلماء في الغرب لكنها لم تعدم عند العرب بل هي كامنة في خيمة العالم الإسلامي ألا وهو القرآن العظيم، ونحن نأمل أن تكون هذه المقالة خطوة صغيرة في تشييد الصرح الإسلامي.

أسلوبية الانزياح

أسلوبية الانزياح أسلوبية حديثة ونظرة متبانية نحو النصوص تعتبر الحجر الأساس في تحليل النصوص وهي ما يجعله الناقد ميزاناً ليميز به الخبيث من الطيب وليقوّم ما تناوله من الأدب شعراً كان أونثراً. وهذه الأسلوبية تتكأ، على انزياحية اللغة وانحرافها عن المعايير المحدودة العادية؛ فالانحرافات النصية لا تكون إلا أسلوباً رائعاً وفناً بديعاً[١].

وهوعبارة عن خرق المعيارية أوكلام ابتعد عن درجة الصفر التعبيرية وهوتجاوز كلام الناس العادي والعدول عنه إلى لغة غير مألوفة[٢].

يسهم الانزياح إسهاماً كبيراً في نضوج النص ويبين إعجازه الدلالي. وهو كما يبدو ترجمة لكلمة (deviation) الانجليزية أو (Ecart) الفرنسية التي تعني في اصطلاح اللغويين المحدثين: التغييرات التي تخيم على جو النص بواسطة تبعثر المفردات أو التراكيب النصية والاستعمالات المجازية التي تروم غاية دلالية أوغرضاً بلاغياً.

وقد نضجت هذه الأسلوبية إثر التفاعل المستمر والتعامل المتكاثف بين المدارس المختلفة، ومنها البنيوية التي أبدعها العالم اللغوي جاكبسون وحلقة البراغ التي راحت تبذل قصارى جهودها في تحطيم السجن الدلالي لتقوم بالخلق الفني، والشكلانية الروسية التي فتحت باباً واسعاً للانزياحات إثر خلقها مفهوم اللاآلية (Deautomatization)، ثم السريالية التي تجعل الخرق والمفاجئة نقطة رئيسة تتمحور حولها وهي النقطة المركزية التي ابتنتها لتلتحق بالانزياح. وثمة مدرسة النحو التوليدي التحويلي الذي يقترن اقتراناً تاماً بأسلوبية الانزياح حين يدرس التراكيب والجمل ويسلط الأضواء على الخلافية الموجودة بين البنية السطحية والبنية العمقية في التراكيب اللغوية.

باكورة هذه الأسلوبية انبثقت من كتابات فاليري وفي كتبه النقدية، حيث يقارن بين الشعر ويجعل الشعر انزياحياً عن الخط المستقيم.[١]

١- الخويسكى، ٢٠٠٩، ص٢٠-٢١.

٢- عياشي، ٢٠٠٩، ص٧٥-٧٦.

فهل هذه الأسلوبية الغربية الحديثة معدومة في كتابات العرب؟

كل من تصفح ديوان العرب وآثارهم يبصر بكل وضوح الدور الذي لعبته الانزياحية في رفع مستوى النصوص الأدبية وهي تتجلى في دراسات العرب القدامى ولا سيما البلاغية منها. فالبلاغة العربية تمهّد أرضاً خصبة من الانزياحات فيما يسمى الخروج عن مقتضى الظاهر أوالعدول، فهذه العدولية عن الأساليب بأنواعها المتقاسمة نحو: الالتفات، الحذف، التقديم والتأخير، المجاز، الإيجاز و... ليست إلا نموذجاً من الانزياحية.[٢]

وهنالك محاولات عديدة ترنحت نحوأسلوبية الانزياح وقد قام بها أمثال ابن جني، ابن قتيبة، ابن الأثير وأبو عبيدة في كتابه: "مجاز القرآن "، حيث إنه راح يتتبع أساليب النص القرآني ليكشف ما أدى إلى إعجاز هذا النص الفريد؛[٣] فالذين يحقرون علوم اللغة العربية ويعتقدون بأنها تكل عن مواكبة العصر الحديث ومجاراة معطياته، قد أهملوا جانباً كبيراً من استيعابيتها حيث إننا نلاحظ أن ما ابتدعه الغربيون من الأسلوبيات الحديثة ينطبق انطباقاً نادراً على قلب اللغة العربية ومنجمها أي القرآن العظيم.

فهذه الأسلوبية التي سبق ذكرها والتي أبصرت النور في المواطن الغربية هي التي تظهر في القرآن الذي تربع على عرش الفصاحة والبيان من قبل أن يولد الانزياح أو أية أسلوبية أخرى. والحق أن القرآن معجزة سرمدية وكلام يتضمن الرطب واليابس وهذه الدعابات لا تسمن ولا تغني من جوع. هذه المقالة تحاول التأكيد على إعجاز القرآن من منظور مستأنف؛ فهي تقوم بذكر أنواع الانزياح وتطبيقها على القرآن لتري مدى انزياحية القرآن ولتبين بأنه معجزة دهر الدهور احتوى على أنواع الانزياح وإن ولدت هذه الأسلوبية في العصر الحديث، ولئن برز البون الشاسع في زمكانية القرآن وبزوغ شمس أسلوبية الانزياح، لكن هنالك علاقة بينهما لا يمكن تجزئتها.

أنواع الانزياح

هناك نوعان رئيسان من الانزياح:

١. الانزياح الاستبدالي ٢. الانزياح التركيبي.

١- محمد ويس، ٢٠٠٥، ص٤٣-٤٤، ٨٦-٨٧، ٩٢ و٩٩-١٠١؛ و غليسي، ٢٠٠٨، ص١٠٩-١١٢.

٢- ميرغني، ٢٠٠٩، ص٦٨.

٣- البحيري، ٢٠٠٩، ص١٧ و ١٨.

١. الانزياح الاستبدالي

وهو الانزياح الذي يقع في جوهر الكلمة دون النظر إلى الموضوعية في الاستعارة، الكناية، المجاز المرسل والتشبيه، وهو يدرس ميزان التباين الموجود بين المشبه والمشبه به الذي يؤدى إلى خرق المألوف وظهور المفاجاة، ما يعطي النص قدراً كبيراً من الروعة والانجذاب. فكلما ابتعد طرفا التشبيه والتقيا في نقطة غريبة لا يعهدها الذهن، كلما يظهر نصيب كبير من الانزياح ارتقاءاً في مستوى النص الدلالي ويروح يعلوشيئاً فيشئاً على درجة الصفر النصية. فخريطة الانزياح الاستبدالي ترسم هكذا:[١]

الانزياح الاستبدالي

الأركان	معيار الانزياحية	
المشبه المشبه به وجه الشبه أداة التشبيه	التشبيه	١. عدم العلاقة أوالإبتعاد بين المشبه والمشبه به في اللغة المعيارية والدلالات المعهودة ٢. كلما كثر حذف الأركان، كثرت انزياحية النص ٣. اغتراب وجه الشبه.
مشبه مشبه به	الاستعارة	١. اغتراب وجه الشبه ٢. ابتعاد المشبه والمشبه به من حيث الزمكانية أومن حيث العلاقة المادية والمعنوية للإبداع والمفاجاة.
العلاقة	المجاز المرسل الواقع والمجاز خلافاً	اختفاء القرينة والعلاقة وغرابة التوحيد بين لمقتضى الظاهر.

نماذج من الانزياح الاستبدالي في القرآن

١. التشبيه: وهوانزياح مكشوف إثر وضوح المشبه والمشبه به ومن أمثلته:

«مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون» (العنكبوت/٤١).

المشبه	وجه الشبه	مشبه به

١- محمد ويس، ٢٠٠٥، ص١١١-١٢٠.

اتخاذ الولي من دون الله		العنكبوت والبيت الذي يلجأ إليه
معنوى		مادي
انسان	الوهن والضعف	حيوان
الكافرون		العنكبوت
اتخاذ السكن المعنوي		اتخاذ السكن المادي

هذه الانزياحية بين المشبه والمشبه به واضحة جداً فالمشبه وهو اتخاذ الإنسان وليا من دون الله، معنوي أما المشبه به وهو اتخاذ العنكبوت بيتا فمادي. أين هذا (الإنسان) من ذاك (الحيوان)؟ وهذان العنصران البعيدان يقتربان حيث يشبه البعض الآخر وهذا غاية اللطافة والظرافة؛ فالمشركون من قوم نوح وإبراهيم ولوط وشعيب باعتمادهم على غير الله سبحانه وتعالى قد أشبهوا العنكبوت الذي يتعب نفسه في البناء ولا نتيجة لجهده وإرهاقه نفسه إلا بيتاً صار مثالاً يُضرب في الضعف والركاكة. والانسان يندهش بهذا الانزياح الدلالي حينما يطلع على ما اكتشفه علماء الحيوان من ميزات العنكبوت. فأنثى العنكبوت أشرس الحيوانات حيث إنها تقتل الزوج بل الأولاد والبيت الذي تحوكه من الخيوط أقوى من الصلب مرتين وتتخلل هذه الخيوط نقط لزجة وهي خير عون في اصطياد الفريسة؛ فهذه الصورة تدل على أن هذا البيت لا أمن فيه ولا قرار بل هو مقتل من يلجأ إليه و مهلك لمن يفر إليه. فمعنى هذه الآية فى هذه الرؤية خير دليل على هذه الانزياحية المدهشة؛ إذ تعني أن لجوء المشركين لآلهتهم عظيم مهلك لهم ولذلك يشبه المشركين بالحشرات التي تلجأ باطمئنان إلى بيت العنكبوت فتصبح قوتاً للموت.

هذه الانزياحية تتجلى في ارتسام صورة المنافقين وتشبيهم بالحمر حيث يقول سبحانه وتعالى:

«كأنهم حمر مستنفرة * فرت من قسورة» (المدثر/٥٠و٥١)، فههنا الانزياحية تتجلى في عدم العلاقة المعهودة بين المشبه والمشبه به لأن المشبه أي حال المنافقين في نفورهم عن الحق معنوي والمشبه به أي الحمر التي ولت فراراً من الأسد الغاصب مادي، ولا التفات لها نحو أطرافها.

الحمار رمز للحماقة والغباوة فازداد حمق هولاء حتى صاروا الحمارنفسه بغباوتهم التي دعتهم إلى فهم خاطئ للحق ففروا منه كما تفر الحمر من القسورة، فأين الحمار من الإنسان وأين الحق من القسورة شتان ما بينهما إلا أن هناك صورة مادية تقرب الصورة المعنوية إلى الأذهان مبينة الصورة الرذيلة التي رسمها المنافقون بأعمالهم.

نلمس الانزياحية التي تتجلى في هذه الصورة في الرسم التالي:

المشبه	وجه شبه	المشبه به
معنوي		مادي
انسان	الإعراض	حيوان
منافق	والفرار	حمار
الحق أوالدين		القسورة

وهنالك تشبيه آخرعرفه الباقلاني بالتشبيه الحسن:

«وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام« (الرحمن/٢٤)

هنا شبهت الجوارى التي تجرى في البحر بالأعلام التي رفعت رأســـها نحو السماء فالجواري أي السفن تشبه الأعلام أي الجبال؛ أنظر إلى الانزياحية التي تشاهد بين المشبه والمشبه به. السفن تجري في الماء الذي يسري ويفتقد الكثافة في عنصره، وأما الجبال فواقفة على الأرض الجامدة وتتميز بالتكاثف كأنها كتلة كبيرة بعناصرها الجامدة، لكن هذه الانزياحية تدلنا على سر الكون الخفي لأن الجبال وإن كانت مسامير الارض ومظهراً في الثبوت والاستقامة لكنها تمر مر السحاب وكأن السفن في جريها تشبه الجبال في جريها، ولوقبلنا أن وجه الشبه في المشبه به أقوى من المشبه لأدركنا هذه الانزياحية الرائعة ومدى روعتها الدقيقة. إن هذا التشبيه الانزياحي قد دلنا على ما أغفلت عيوننا رؤيته وهوحركة الجبال الضخمة المتراكمة التي اختفت عن الأنظار. انظر إلى الرسم التالي:

المشبه	وجه شبه	المشبه به
السفن		الجبال
جريها ظاهرى	الارتفاع	جريها خفي
مكانها الماء	الحركة	مكانها الأرض
سائل		جامد

و من التشبهات التي تبرز فيها الانزياحية هي قوله تعالى: «ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون» (الحج/٤٧)، في هذا التشبيه المتراح عن العادة، شبه اللوم بالسنة وهويكاد يعارض اليوم في اللغة؛ إذ يقال: (لا يوماً ولا يومين بل سنة كاملة) فيستنبط من هذه العبارة بأن اليوم في تناقض دلالي مع السنة لكن هذه الآية الكريمة أنشأت جسر التشابه بينهما وجعلت التعارض نقطه الاشتراك، فتشبيه المتضادين ليس إلا انزياحاً بارزاً وذلك لبيان مقدار حال المشبه:

المشبه	وجه الشبه	المشبه به
اليوم	الطول	السنة
قصير المدة		طويل المدة

«إنما مثل الحياة كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أونهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون» (يونس/٢٤).

تحتوي هذه الآية على سبعة تشابيه على رأى محمد الطاهر بن عاشور وهي:

١. شبه إبتداء أطوار الحياة والشباب بنزول المطر وإحياء الأرض بجامع التعلق وما يترقب من حصول الآمال.

٢. شبهت بوارق الآمال وسعادة الحياة وبهجتها بسرعة ظهور النبات بعد المطر وزخرفة الأرض بالنبات بجامع شدة التعلق لظهور بوارق الشيء المأمول.

٣. شبهت معالي الأمور من نعم الحياة بالنبات الذي يأكله ويقتاته الناس بجامع علو القدر.

٤. شبهت معالي الأمور التي يتعلق بها بعض الضعفاء من لذائذ الحياة بالنباتات التي تأكلها الحيوانات بجامع الحقارة وانحطاط الهمم.

٥. شبه الناس الذين يتعلقون بتلك السفاسف والأمور التافهة بالأنعام، بجامع عدم الإدراك والتمييز.

٦. شبه نهاية الانتفاع بالخيرات في الدنيا وانهماك الناس في تناولها وتعلقهم بحياة اللعب واللهو، بغانية متزنية حسناء لبست أنواع الزينة بجامع الافتنان في كل منهما.

٧. شبهت سرعة زوالها بعد البهجة والكمال بالزرع المحصود الذي فقد الحياة بجامع سرعة الزوال والفناء.

أليست هذه التشابيه الكامنة المتكاثفة انزياحاً عن التشابيه المعهودة وليست هذه اللاعادية من أهم الأسباب الرئيسة في تجميل هذا النص المقدس؟[١]

فالتشبيه وهوأدنى مستويات الانزياح الاستبدالي يلعب دوراً ملحوظاً في القرآن وكأن كل التشابيه خروج عن المألوف، يؤيد رأينا ما قال به العسكري إذ يقسم أجود التشابيه في أربع مستويات هي:

«-إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة.

١- أبوالعدوس، ٢٠١٠، ص٨٠.

-إخراج ما لا يعرف بالبديهة إلى مايعرف بها.

-إخراج ما لم تجر به العادة إلى ماجرت به العادة.

-إخراج ما لا قوة له بالصفة إلى ما له قوة فيها».[١]

وكل هذه الإخراجية تؤدي إلى تقريب المتباعدين وهو الانزياح وحقيقة الانزياح وغايته.

أما الاستعارة بأنواعها المختلفة من التصريحية والمكنية و... تعد انزياحاً استبدالياً وقد تتجلى في القرآن بالأمثلة الكثيرة التي تزدحم هنا وهناك، وتقع هذه الاستعارة في الحروف، أوالمفاعيل أوالفواعيل وغير ذلك من المواضع، هنا نشير إلى مقتطفات منها في القرآن الكريم:

-الاستعارة في الفعل الماضي:«أتى أمرالله» (النحل/١)،هنا الاستعارة تصريحية تبعية؛ إذ شبه الإتيان في المستقبل بالإتيان في الماضي وأين الماضى والمستقبل؟ فهذا الانزياح لافت النظر؛ إذ قلب الوجه الزماني الموجود إلى ما يناقضه وجعل الأمر قريباً بل حاضراً عند المتلقي، فأمر الله يأتي وهو قريب حيث يظن أنه قد أتى، فهذه الصيغة تدل على مستقبل محقق الوقوع وهوفي حكم الماضي، لذا عبر عنه بصيغة الماضي.[٢]

«ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة» (الأعراف/٥٠)، فالنداء الموجود في هذه الآية استعارة أوانزياح استبدالي؛ إذ ترى بأن الوحدة اللفظية تدل على الماضي والوحدة المعنوية تدل على المضارع لأن هذا التقابل بين أصحاب النار وأصحاب الجنة لم يقع بعد، فهذا الانزياح الزمكاني أدى إلى ظهور استعارة تصريحية تبعية لتوفي بالغرض المنشود وهوتحقق الوقوع.[٣]

-الاستعارة في الفعل المضارع: غالباً ما يتراح المضارع إلى الماضي في الوحدة المعنوية لاستحضار الصورة المقصودة نحو: «يحيى الأرض بعد موتها» (الروم/٥٠) أي أحياها بعد موتها. وثمة انزياح آخر وهوعدول "يزين" إلى "يحيي"، وهنالك تشبيه كامن حيث نرى تشبيه الأرض الخضراء بالإحياء ورد الروح إلى الجسد؛ فالأرض التي تعتبر من الجمادات شُبّهت بالكائن الحي ذي الروح. فهذه الفجوة التباعدية وخرق العادية هي التي أدت إلى طراوة هذه الآية الكريمة.

هناك أمثلة كثيرة نحو:

. «وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون» (يس/٣٧)

١- أبوالعدوس، ٢٠١٠، ص٨٦.

٢- أبوحيان الأندلسي،١٤٢٠،ج٦، ص٥٠٦.

٣- أبوالعدوس،٢٠١٠، ص١٤٨.

. «بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هوزاهق» (الأنبياء/١٨)

. «فبشرهم بعذاب أليم» (التوبة /٣٤)

. «فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين» (الحجر/٩٤)

الوحدة اللفظية	كيفية الانزياح	الوحدة المعنوية
نسلخ من	الليل مثل الجلد يسلخ	نخرج من
نقذف بالحق	الحق مثل السهام يقذف أويرمى	نرسل الحق
بشّر	الإنذار مثل التبشير للتهكم درجة انزياحية تامة بين المتضادين	أنذر
فاصدع	إطاعة الرب في تنفيذ الأوامر مثل كسرالزجاج خضوعاً	أطع

-الاستعارة في الظرف:نحو قوله تعالى: «فنبذوه وراء ظهورهم» (آل‌عمران/١٨٧)

تتجلى انزياحية هذه الآية حينما نعلم بأن نبذ الشيء وراء الظهر متعلق بالأمور المادية الحسية وهنا استخدم لبيان الغفلة والإهمال وهو أمر معنوي، فالوحدة وهو تشبيه الشيء المادي بالشي ء المعنوي، يجمع شمله جامع الإهمال والغفلة؛ ف"النبذ وراء الظهر" مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه....[١]

فهذه الانزياحية هي التي أدت إلى نضوج الآية وإيحائيتها.

-الاستعارة في اسم الإشارة: «هذا وإن للطاغين شر مآب» (ص/٥٥)

الوحدة اللفظية	درجة الانزياح	الوحدة المعنوية
هذا الاشارة المادية	الانتقال من الدرجة المادية في البنية العميقة الى الدرجة المعنوية في البنية السطحية	هذا الاشارة المعنوية
	الوحدة المتحدة: تقرب المشار اليه	

١- الشريف الكاشاني /ج١/١٦٣.

فهذا قد خرج عن استعماله العادي المألوف وراح بدلالته المعنوية يتزاح عن الدلالة المادية ويخلق جواً لطيفاً إثر هذه العدولية.[١]

-الاستعارة في الحروف: هي استعارات جميلة نادرة ومع جماليتها البديعة قلما التفتت نحوها الأنظار فهذه الانزياحية الخفية تحتوي على كثير من الدلالات البديعة وهي:

الاستعارة ب"في": «ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر» (الإسراء/٧٠)

أصل الكلام هو "حملناهم على" فانعدل الكلام عن الأصل وجاء على نمط آخر لأن حرف "في" حرف الوعاء و هو ذات استيعابية كبرى يندرج تحتها ما يدل عليه «على» الذي تدل على الاستعلاء. **في** يدل على الاستعلاء الذي يلازمه الاستقرار والطمأنينة لكن حرف **على** لا تعني إلا الاستعلاء وهذا هو السر في استخدام حرف **على** الوعائية بدلاً من على الاستعلائية.

الاستعارة ب"هل": «فهل لنا من شفعاء يشفعوا لنا» **(الأعراف/٥٣)**

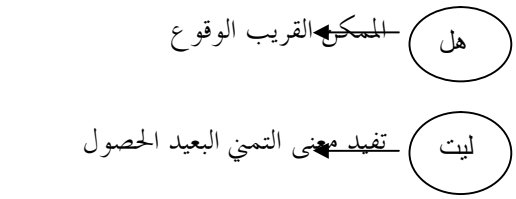

هل في البنية السطيحية أي الوحدة اللفظية تدل على الاستفهام والطلب للحصول على شيء ممكن أولاً وقريب وقوعه ثانياً، المعنى في الاستفهام يدل على ابتعاد حصوله إذ لن يتواجد شفيع ليشفع لهم لكن القائل يود لوكان لديه شفيع من الشفعاء فيعدل كلامه عن **ليت** الأصلية إلى **هل** المعنوية. لكن ما الذي يجمع بين **هل وليت** في هذه الآية؟ فالجامع بينهما هوالبطلان.

الاستعاره ب"اللام": «فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً» (القصص/٨)

اللام التي نراها في هذه الآية خرجت عن معناها الدلالي إلى المعنى الغائي والمعنى الدلالي وهوعلة الشيء، يناقض المعنى الغائي وهوما يترتب على الالتقاط من العداوة والحزن، فحينما التقط آل فرعون موسى كان السبب المحبة إليه و لم يكن العداوة والحزن، فهناك انزياح بارز في هذه الآية إذ صارت العلة الغائية العلة الحقيقة لأخذ موسى وتبنيه، وقد أدت اللام إلى هذه المفاجئة لأنها جاءت لتبين التقاطهم

١- البغدادي، ١٤١٥ه / ج٤، ص ٤٥.

النبي موسى بما هوعاقبته أي بما يصيبهم إثر أخذه في المستقبل[١] وعلة الانزياح هي أن الغاية الحقيقة التي تحققت تختلف اختلافاً شاسعاً والغاية الظاهرية. انظر كيف ائتلف ما اختلف و لم يكد يشعر به أحد من شدة الانسجام الدلالي لما سبقه ولما يليه:

الاستعارة في الفعل

«والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع...» (نور/٤٥)

الاستعارة هنا تتجلى في فعل «يمشي على بطنه» إذ المشي لايتم إلا بواسطة الأرجل وليس للزواحف أرجل لكى تتم عملية المشي بواسطتها ولا يكون المشي إلا للإنسان أو الحيوان، أما الزواحف نحو الحية أو الديدان فإنها لا تمشي بل حركتها الخلفية أو الأمامية تسمى زحفاً فهنالك انزياح لفظي يستغنى بواسطته عن ذكر الأرجل والله أعلم.

ويدلنا على هذا المعنى سياق الكلام؛ إذ إنه منسق على أساس القوي حتى يصل إلى الضعيف فالذي يمشى على بطنه أقوى من الذي يمشي على رجليه والذي يمشى على رجليه أكثر قوة من الذي يمشي وهوعلى أربع والسبب الآخر الذي تكون فيه هذه الانزياحية هو قضية المجاراة؛ إذ الآية تتابع كلامها بفعل **يمشي**، إذن الأولى هو مجاراة الآية في النسق اللفظي، فالانزياح ههنا قام بمهمة تنسيق البنية السطحية وعدم تبعثرها.[٢]

الاستعارة التمثيلية

«إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً» (الفرقان/١٢)

زفير النار وغليانه يشبه صوت المغتاظ الذي يجيش صدره من شدة الغضب والحماس وثمة صوت النار شبه بزفير الحمار حين يشهق ويتقلقل نحوالشعير فهذه الصورة المريبة من نار جهنم ما اكتملت إلا بالانزياحية التي دعمتها. انظر إلى الرسم التالي:

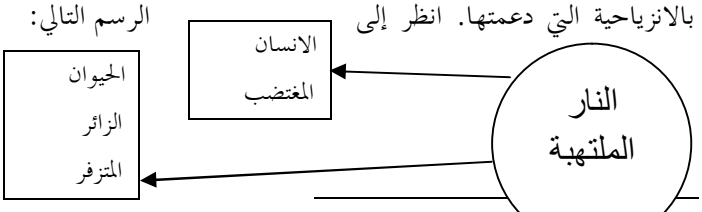

١- البيضاوي، ١٣١٥ه، ج٤، ص١٧٢.

٢- الصابوني، ٢٠٠٩، ص٢٢٣.

الدرجة الانزياحية كبيرة جداً في هذه الآية؛ إذ ارتقت من الوحدانية إلى الدرجة الثنائية كأن تشبيه النار المتلهبة بالإنسان الغاضب لايكفي، فحينما يحذف الانزياح الأول ترفّع إلى الانزياحية الثانية فشبهت النار ثانية بالحيوان الذي يزفر فهذه الثنائية في الانزياح قد أدت إلى ترسيخ الصورة في الذهن.[١]

الاستعارة المكنية

«سنسمه على الخرطوم» (القلم/١٦) الانزياحية في هذه الآية تجلت في الاستعارة المكنية،لأن الإنسان مهما يكن قبيحاً لا يملك الخرطوم والخرطوم إما للفيل وإما للخنزير وهذا التعبير الذي خاطب الله به عبده غاية في الإذلال والإهانة وقد قصد الله سبحانه وتعالى تقبيح العبد والتشنيع عليه؛ فعبر بالوسم عن الخرطوم عن غاية الإذلال والإهانة، لأن السمة على الوجه شين وإذلال.[٢]

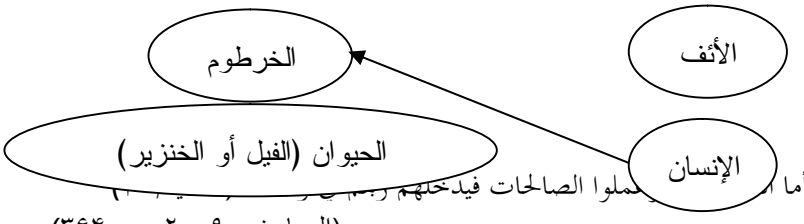

المجاز المرسل: «فأما [illegible] وعملوا الصالحات فيدخلهم [illegible] (الصابوني، ٢٠٠٩ ، ص٣٦٤)

فهذا النوع من الانزياح الاستبدالي لايتضمن التشبيه بل ا الروابط الدلالية على انزياحية العلاقات لا انزياحية المشبه والمشبه به كما سبق. في هذه الاية **الرحمة** تعني الجنة وليست هنا العلاقة تشبيهية بل العلاقة محلية لأن الجنة مثوى لرحمة الله سبحانه وتعالى.

الرسم التالي يبين الدرجة الانزياحية الموجودة فالرحمة التي كانت الجنة تستوعبها إثر هذه الانزياحية أصبحت نفس الجنة، فهذه المساواة الدلالية بين الحال والمحل تعتبر انزياحاً استبدالياً دلاليا.

١- الطنطاوي، ١٤٢٢، ج٢، ص ١٧٨٥.

٢- الزمخشري، ٢٠٠٦، ج٤، ص٥٨٧.

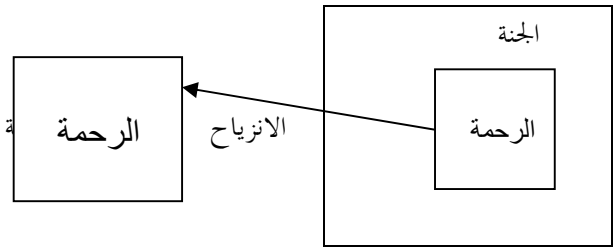

هذه نظرة وجيزة على نماذج الانزياح الاستبدالي في القرآن الكريم. من هنا نتطرق إلى نوع آخر من الانزياح هوالانزياح التركيبي لنرى فاعلية النص الإلهي في هذا الشارع الحديث ونؤمن أكثر من ذي قبل بإعجاز المصحف الشريف.

الانزياح التركيبي

هذا النوع من الانزياح يقع في الروابط الموجودة بين المدلولات في تركيب واحد أو مجموعة من التراكيب، فكل تركيب خرج عن القواعد النحوية المعتادة وأصول الجملة المعهودة فهو انزياح تركيبي ولعلاقة هذا الانزياح بعلم النحو أعطاه كوهن اسماً آخر و هو «الانزياح النحوي» إلا أنه لا يعد انزياحا إلا إثر الفجائية التي تخلق قيمة جمالية ودون هذه الميزة لم يكن يوجد انزياح مهما تغيرت التراكيب وكسرت نطاق النحو وقواعده.

هناك قسمان من التراكيب: الأول: تركيب الأصوات أوالحروف ولا يمكن التصرف فيه والثاني: تركيب مجموع الجمل بعضها مع بعض وذلك يشكل بنية النص الكلية على مستويين:

مستوى تركيب الكلمات في الجملة ومستوى تركيب الكلمات على حد ذاتها،[١] فكل ما يكون أن الانزياح التركيبي يتعلق بكل ما خالف موقعه في النص حسب النظام اللغوي النحوي وهو يتمثل في:

- التقديم والتأخير
- الحذف والاضافة
- الانتقال من أسلوب إلى آخر
- الالتفات

١- محمد ويس، ٢٠٠٥، ص١٢٠-١٢٨.

خلخلة العلاقات بين المسند والمسند إليه ←

فالانزياح التركيبي يختص بالتراكيب النصية بكاملها أوقسماً منها.[١]

البنية المتكاملة في اللغة العربية تظهر في النموذج التالي:

البنية المتكاملة	١	٢	٣	٤	٥
	الفعل	الفاعل	المفعول به	الضميمة	ضميمة الضميمة

(الجنابي، ٢٠١٠، ص٩٢).

تغيير البنية المتكاملة يؤدي إلى التقديم والتأخير وحذف إحدى البنيات الموجودة يوجد الحذف أوالإيجاز وكل ما يشاهد في الظاهر هو البنية السطحية وكل ما يؤول أو يتغير للوصول إلى البنية المتكاملة، فهوالبنية العميقة للنص.

التقديم والتأخير: «فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون» (البقرة/٥٩)

«و ما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين» (يس/٢٨)

الأسلوب كما يشاهد أسلوب انزياحي لأن ضميمة حرف الاستقرار جاورت الفعل والفاعل وهذا السياق جاء ههنا لتعظيم العذاب وتهويل الظالمين. فالبنيه العميقه هي:

- «فأنزلنا رجزاً من السماء على الذين ظلموا...»
- «وما أنزلنا من بعده على قومه...»

الانزياح التركيبي في العطف: «والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد هو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم» (محمد/٢)، بناء الآية يحتوى على ازدواجية خاصة يوضحه الجدول الآتي:

الطرف الأيمن	الطرف الأيسر
الذين آمنوا وعملوا الصالحات	كفرعنهم سيئاتهم
وآمنوا بما نزل على محمد	أصلح بالهم

هذه البنية بنية متكاملة لأنها تحتوي على أعضاء البنية بأسرها وهذه البنية في تنسيقها الخاص توحي معنى خاصا هو تمييز

١- ميرغني، ٢٠٠٩، ص٧١و٧٠ و محمد ويس، ٢٠٠٥، ص١٢٠-١٢٨.

الإيمان بالله سبحانه والإيمان برسالة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ فهنا انزياح دلالي واضح أوجدته البنية السطحية بعطف "آمنوا" على "آمنوا" فالأول الإيمان بالله ونتيجته تكفير السيئات والثاني الإيمان برسالة النبي ونتيجته إصلاح البال:

آمنوا آمنوا	البنية السطحية
الاعتقاد بالله لا يساوي الاعتقاد بالرسول	البنية العميقة

توحيد البنية السطحية (آمنوا وآمنوا)، إشارة إلى علاقة الرسول بالله تعالى وتوكيد على أن الإيمان برسالته لا يناقض الإيمان بالله تعالى لكن عدم الإيمان بالرسول ينافي الإيمان الكامل وذلك ما يتبين إثر الكشف عن البنية العميقة.

الحذف: «هل أنبئكم على من تنزل الشياطين* تنزل على كل أفاك أثيم» (الشعراء/٢٢١و٢٢٢)

من سياق الآية يتضح أن البنية ليست متكاملة في الشطر الثاني، إذ حذف الفاعل:

البنية السطحية	تنزل	على كل	أفاك أثيم

البنية العميقة	تنزل	الشياطين	على كل	أفاك أثيم

وسبب العدول عن ذكر الفاعل يبدو- والله أعلم - تنزيه الله سبحانه وتعالى وذلك أن التنزل من أمر الله وفي هذه الآية الكلام عن تنزل الشياطين الملعونة فاقتضت المناسبة حذف الضميمة تنزيهاً لله - عز وجل- وهنالك حذف آخر في «تنزل» في الواقع أنه كان **تتنزل** فحذفت التاء الأولى لكثرة استعمال المحذوف في الكلام العادي.[١]

و من الأمثلة في الحذف هذه الآية: «آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل» (النساء/١٣٦)

الشاهد في فعل "أنزل" حيث البنية المتكاثفة أدت إلى إبقاء وحدة واحدة من البنية المتكاملة وهوالفعل.

فالمحذوفات:١. الفاعل وهو ضمير مستتر يعود إلى لفظ الجلالة، ٢. المفعول به وهو ضمير مستتر أيضا، ٣. ضميمة الإبتداء، ٤. ضميمة الانتهاء (الاستقرار)

١- الجنابي، ٢٠١٠، ص٦٩-٦٨.

١	٢	٣	٤	٥
الفعل	الفاعل	المفعول	ضميمة الابتداء	ضميمة الاستقرار
أنزل	△	△	△	△

الانتقال من وصف الواحد بالواحد إلى وصف الواحد بالجمع: «إن إبراهيم كان أمة» (النحل:١٢٠) ووصف إبراهيم بأنه أمة و الأمة اسم جنس تدل على الجمع معنى فعدلت الآية إلى هذا الوصف لبيان كمال النبي إبراهيم (عليه السلام) في جميع الخصال وكأنه أمة كاملة.[١]

العدول إلى اسم الفاعل نحو: «تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين» (يوسف/٧٣)

هنا رجح صيغة اسم الفاعل على ذكر الفعل وبدلاً من أن يقول: (ماكنا لنسرق) قال: "ما كنا سارقين" وذلك «للدلالة على عدم انتسابهم إلى هذه الصفة، وعدم صلاحيتهم للاتصاف بها فكان مثل هذا الفعل لايمكن أن يأتي منهم ألبتة ولا يليق اتصافهم به وهم من بيت النبوة.»[٢]

العدول إلى صيغة مفعول: وذلك في الآية: «إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق والطير محشورة كل له أواب» (ص/١٨و١٩) فقابل فعل "يسبحن" ب "محشورة" ولم يقل: والطير يحشرون، ففسر الزمخشري هذه الانزياحية تفسيراً جميلاً ومقبولا حيث ذكر: «... أنه لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من إرادة الدلالة على الحدوث شيئاً بعد شيء جي ء به اسماً لا فعلاً؛ وذلك أنه لوقيل:

وسخرنا الطير يحشرن، على أن الحشر يوجد من حاشرها شيئاً بعد شيء —و الحاشر هو الله عز وجل- لكان خلفاً، لأن حشرها جملة واحدة أدل على القدرة...فغايرت الآية بين فعل العبد وفعل الرب سبحانه فالتسبيح يقع من المخلوقات شيئا فشيئاً أما الحشر فيقع من الله تعالى جملة واحدة بأمر واحد».[٣]

وهنالك دلالة أخرى اختفت تحت هذا العدول اللطيف وهو أن الطير ساعة تسبيح داوود كانت تحضر أمامه جملة واحدة من أوان التسبيح حتى ختامه وثمة ما يجدر الملاحظة هو أن الانتقال والحركة جبلة الطير وهى فارقت طباعها وانزاحت عن جبلتها وثبتت عند داوود النبي خاشعة طارقة الرأس.

١- الهنداوي، ٢٠٠٨، ص١٦٠.

٢- همان، ص١٧٣.

٣- إبن كثير الدمشقي، ١٤١٩ه، ج٧، ص ٤٩.

الالتفات: من أمثلة الاتفات في القرآن

- «إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون» (هود/٥٤)

- «قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون» (الأعراف/٢٩)

- «فكأنما خرمن السماء فتخطفه الطير وتهوي به الريح من مكان سحيق» (الحج /٣١)

- الشاهد في الأول: «أُشهد الله واشهدوا» و لم يقل: وأشهدكم لأن شهادة الله وشهادة هؤلاء لا يستويان وإشهادهم ليس إلا تهاونا بهم وعدم المبالاة بهم؛ فهذا العدول يبين هذه الخلافية التي تظهر في الدلالة المعنوية.

- الشاهد في الثاني قوله: «قل أمر...بالقسط وأقيموا» فعدل عن المصدر إلى الفعل ليؤكد على ما فرضه عليهم ولينبه على الأهمية البالغة التي تتضمنها الصلاة.

- والشاهد في الثالث هو «خر... فتخطفه الطير وتهوى به...» فعدل عن لفظ الماضي ثم عطف عليه المستقبل لاستحضار الصورة التي رسمها في ذهن السامع، فهذه الانزياحية تلعب دوراً كبيراً في إيقاظ السامع وتنبيهه؛ والجدير في هذه الانزياحية بيان سرعة الحركة وشدتها، وهذه السرعة خفية كما أن الانزياح والعدول في عطف الماضي على المضارع خفي في طيات الكلام.[١]

خلخلة علاقات المسند والمسند اليه: «المسند إليه هوالمبتدأ الذي له خبر والفاعل ونائب الفاعل»[٢] وأصله أن يكون معرفة مذكوراً والمبتدأ مقدم على الخبر والفاعل ونائب الفاعل متأخر عن الفعل، والمسند هو «الخبر والفعل، اسم الفعل والمصدر النائب عن فعله»[٣] والأصل فيه الذكر وفي الفعل، التقديم، وفي الخبر، التأخير فما عدل عن هذا فهو خلاف الأصل وقد بلغ ذروة الانزياح ومن أمثلة هذا العدول:

- حذف المسند إليه: «صم بكم عمى» (البقرة /١٨)، فالمسند إليه ههنا حذف ليصان اللسان عنه تحقيراً له وهو (هم) وأحياناً يعدل عن ذكره لتعينه مثل: «عالم الغيب والشهادة» (الرعد/٩)، فالله

١- السيد قطب، ج٤، ص٢٢-٢٤.

٢- القزويني،٢٠٠٢، ص٥٥.

٣- همان، ص٧٧.

الذى يعلم الغيب ويشهد على ما يحدث ظاهر أشد الظهور حيث أنه لاداعي لذكره، هذا العدول يرشدنا إلى التنبه إلى حضور الله سبحانه وتعالى في الغيب والشهادة.[١]

- و يتقدم المسند أحياناً لغرض ما نحو: «لا فيها غول» (الصافات/٤٦)، فانزاح المسند عن مكانه ليؤكد على كيفية الخمور في الجنة قياساً بخمور الدنيا التي تغتال العقول[٢] أو نحو «لاريب فيه» (البقرة /٢)، تقدم فيه المسند لئلا يبقى قليل شك وارتداد بالنسبة إلى كتاب الله سبحانه وتعالى.[٣]

فظاهرة الانزياح استبدالياً كانت أو تركيبياً تتجلى في النص القرآني وتكون من أبدع الإطارات التي تحول رؤية المخاطب وتدهشه وتقربه من إدراك الإعجاز القرآنى.

بعد هذه الدراسة علينا أن نقول بأن الانحرافات السياقية التركيبية والانحرافات الاستبدالية قد تقترن وتتشابك ولا يمكن تحديدهما أوالفصل القاطع بينهما؛ فالانحراف الاستبدالي لابد من أن يؤدي إلى انزياح تركيبي وهذا ما يمنعنا في كثير من الأحيان أن نحصر التراكيب في انزياحية خاصة دون الأخرى.[٤]

هناك نوع آخر من الانزياح هوالانزياح الصوتي الذي يوثر على المعنى الدلالي النصي ويخيم على الجوالخطابي ويثير موسيقى خاصة في النثر الفني.

الانزياح الصوتي: «إنه انحراف عن النظام الصوتي المعيارى، أو ما يسمى بدرجة الصفر الصوتية وخرق له ويستخدم حداً أقصى من الأمامية «لتصبح الوظيفة الجمالية هي المهمينة».[٥]

وهوفي الواقع يميز الفصل القاطع بين الوحدات الصوتية لأن كل حرف له صوته وخصائصه، فإذا استبدل مكانه بحرف آخر انحرف الصوت وميزاته الدلالية إثر هذا الاستبدال. فالجدول التالي يبين صفات الحروف الصوتية:

المخارج	الصفات			
	شديد	رخو	مركب	متوسط

١- همان، ص٥٦.

٢- همان، ص٨٥.

٣- همان.

٤- هنداوي، ٢٠٠٨، ص١٦٣.

٥- سلوم، ١٩٩٦، ص٣٦.

	مجهور		مهموس		مجهور	مهموس	مجهور فقط	منحرف (جانبي)	مكرر	أنفي	لين		
	مفخم	مرقق	مفخم	مرقق	مفخم	مرقق	مفخم	مرقق				م	و
شفوى		ب											
شفوي أسناني								ف					
أسناني					ظ			ث					
أسناني لثوي	ض	د	ط	ت			ص	س					
لثوي										ل	ر	ن	
غارى								ش	ج				ي
طبقى				ك									
حلقومي(لهوي)			ق		غ		خ						
حلقي						ع							
حنجرى													

(سلوم، ١٩٩٦، ص٣٧)

من أهم الانحرافات الصوتية التي تتراآى في النصوص هو التكرار الذي توجد أساليبمختلفة منه في النص،كالجناس، السجع، الترصيع وغير ذلك.[١]

والتكرارنفسه ينقسم إلى أقسام:

- ♦ التكرار الصوتي
- ♦ التكرار اللفظي
- ♦ تكرار العبارة
- ♦ تكرار الصيغ[٢]

لهذه الانحرافات الصوتية ولا سيما التكرار دور هام في إيحائية النص وحتى هيكلية النثر وأناقته الظاهرية، والجميل أن القرآن استخدم هذه الأسلوبية مرات عديدة وفي مواضع مختلفة. هنا ندرس نماذج من الانزياح الصوتي (التكرار) في القرآن الكريم ونحاول الكشف عن جانب قصير من جمالية.

١- سلوم، ١٩٩٦، ص٤٢-٤٤.

٢- علوان، ٢٠٠٨، ص٢٨٦- ٢٩٥.

تكرار العبارة

إن الله سبحانه وتعالى يكرر عبارة «فبأي آلاء ربكما تكذبان» إحدى وثلاثين مرة في سورة الرحمان، فهذا التكرار أدى إلى موسيقى خاصة. إضافة إلى أنه قصد التذكير والتنبيه على كثرة آلاء الله ونعمائه، فعلى العباد أن يحمدوه ويسجدوا له وأن يذكروا نعمه وفضله وإحسانه؛ فالتكرار المستمر في المقاطع المتتالية يدل على أن النعم تحيط بالإنسان دائماً فلابد له أن يستمر في الشكر ولا يغفل لحظة واحدة. ثمة أن الإنسان غافل وهذه الغفلة التي اعتاد عليها تقتضي هذا التكرار والتأكيد، فنرى **حرف المد** يتكرر أربع مرات «فبأي آلاء ربكما تكذبان» وحرف المد رمز للنداء الخفي وغفلة الإنسان عن ربه وآلائه.[١]

وحرف الباء يتكرر ثلاث مرات وهي من الحروف الجهرية المرققة فكأن الله يذكرنا بصوت جهري يتميز بالرقة ويعطف علينا برحمة ليوقظنا من النوم الذي طالما خلدنا إليه وهذا الاستفهام تقريري فلا يمكن لأحد أن ينكر نعم الله ولوبمقدار حبة خردل.

التكرار في الصيغة

وذلك يتمثل في سورة اللمزة حيث قال سبحانه: «ويل لكل همزه لمزة * الذي جمع مالاً وعدده * يحسب أن ماله أخلده * كلا لينبذن في الحطمة * وما أدراك ما الحطمة * نار الله الموقدة * التي تطلع على الأفئدة * إنها عليهم مؤصدة * في عمد ممددة»

«هذه السورة قد وظفت صيغة المبالغة (فعلة) توظيفاً فنياً رائعاً يعتمد على التوازي الصرفي بين تكرار صيغة (فعلة) في وصف هذا الآثم وتكرار هذه الصيغة كذلك في وصف الجزاء الذي أعد له»[٢] بهذا التكرار ألبس الأثر صورة فنية رائعة وجعل التوازن بين الفعل والجزاء. فجزاء همزة لمزة حطمة أية حطمة.

التكرار في اللفظ

وهويتجلى في بعض السور منها سورة الناس: «قل أعوذ برب الناس * ملك الناس* إله الناس * من شر الوسواس الخناس* الذي يوسوس في صدور الناس * من الجنة والناس»

١- الصابوني، ٢٠٠٦، ص٣٣٢.

٢- هنداوي، ٢٠٠٨، ص٢٣.

ولفظة «الناس» تتكرر في هذه السورة القصيرة خمس مرات وهذا ما يسمى في علم البديع بالإطناب. إن هذا التكرار الذي أخرج الكلام عن السياقية المعهودة وجعلها انزياحية تستهدف تكريم الإنسان وتعظيمه واعتناء بشأنه. انظر أن " الناس "قد اقترن مرة ب(الرب)، ثانية ب(الملك) وثالثة ب(الإله)، فهذا اقتران يقربنا إلى مكانة بني آدم فهم خلفاء الله على الأرض ولوجيء بالإضمار مثلاً لوقيل ملكهم أوإلههم لم يفد هذا المعنى ألبتة.[١] ومنها أيضاً الآيات الأولى من سورة الحاقة: «الحاقة* ما الحاقة* وما أدراك ما الحاقة»

ففي هذه السورة تكررت "الحاقة" وهي القيامة ثلاث مرات، فوضع الضمير موضع الظاهر في هذه الآيات للتأكيد على هول القيامة وتهويلها وتعظيمها وهذا التكرار يثير الخوف والإرهاب ويجعل القيامة قريبة ظاهرة.[٢]

حرف القاف من الحروف الانفجارية و**حرف الحاء** من الحروف الاحتكاكية فهذا الانفجار والاحتكاك الصوتي يصوران هول القيامة وأهوالها والحشر وارتعاد الناس. فالانزياح الصوتي في هذا المقطع يساعد المعنى الدلالي ويعضده.

التكرار الصوتي

وهوتكرار صوت خاص في مقطع خاص للدلالة على معنى خاص يوحي إلى المخاطب ويؤثر عليه أثراً انفعاليا فالصوتية التي تكمن في صفات الحروف، وهذا التكرار المتراح عن اللغة العادية يؤديان إلى فنية النص ويضاعفان مدى تأثيره. ولتبيين تأثير هذه الإنزياحية نحلل سورة «العصر» ونتدبر في القدرة الايحائية التي تقوم بها الأصوات.

«والعصر* إن الإنسان لفي خسر* إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات* وتـــواصوا بالحق وتواصوا بالصبر»

و	ل	ع	ص	ر	ء	ن	س	ف	مد	خ	ذ
٤	١١	٢	٧	٣	٤	٥	٢	١	٩	١	١
م	ح	ت	ب	ق							
٢	٢	٣	٣	٢							

١- الصابوني،٤٤٩.

٢- هنداوي، ٢٠٠٨، ص٣٦٧.

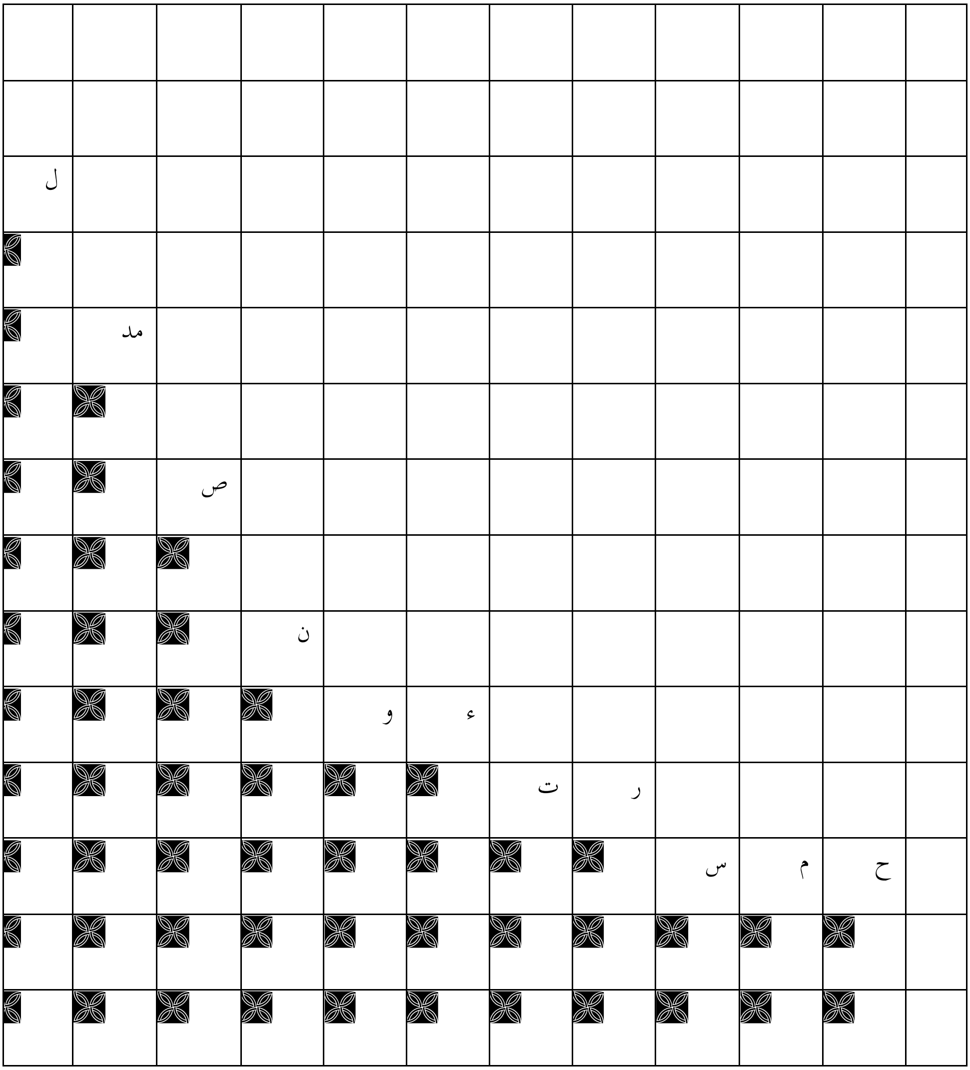

الإحصائية التي تتجلى في الخريطة السابقة تشير بأن «اللام» هوالحرف المسيطر على هذه السورة وهوحرف جهري متوسط لا احتكاكى ولا انفجاري وغالباً ما توحي اللام معنى القطعية، فخسران الإنسان أمر قطعي وحتمي والإيمان بالله والعمل الصالح والاستعانة بالحق والصبر لا محالة ينقذ الناس من الخسران المبين.

حرف المد يتكرر عشر مرات وهذا ما يشير إلى خسران الإنسان على مدى الزمن وامتداده ويبين بأ ن ثمرة الإيمان والعمل الصالح والتمسك بالحق والصبر تمتد ما بقي الدهر.

إن الصبر والعمل الصالح والتواصي بالحق ليس هذا كله أمراً بسيطاً بل من الأمور الفخمة التي تحتاج إلى المثابرة والمصابرة فحرف الصاد الذي يتسم بسمة الاحتكاكية والفخامة حل محله ليقوم بواجب هذا المعنى الايحائي.

بقية الحروف تتوزع في النص توزيعاً متوازناً ويحتظي الجوالصوتي بالانزاحية الصوتية القليلة وهذه التسوية الموجودة في التوزيع الصوتى تمحومميزات الحروف. ففي هذه السورة كل من حروف (ع، ح، م، س، ق) يتكرر مرتين دونما تأثير بين في إيحائية النص.

تنتهي المقاطع بحرف الراء الذي للتكرير (العصر، خسر، الصبر) نفس الامتداد الذي تحدثنا عنه، والفخامة واضحة في كلمتي العصر، والصبر.

فهذه الانزياحية الصوتية هي التي أدت إلى جمالية نص القرآن وجعلت الآذان تتعطش لاستماعه وترغب في الدراسة والتلذذ منه. ولولاه لفاتت العذوبة والطراوة ولمات الإعجاز تحت رماد الجهالة.

فهذه الوجيزة التي سبق ذكرها هي التي أثبتت بالحجة الدافعة استيعابية القرآن ومواكبته للعصر الحديث كما أنها محت الشكوك –بقدر استطاعتها– عن وجه المصحف الشريف،فهوالحق والحق يقال بأن القرآن تربع على عرش الفصاحة والبيان وأنه هوالمحيط العظيم الذي لم يزل ولا يزال يموج بطراوته الزاهرة.

النتيجة

١. إن الأسلوبيات الحديثة التي وجدت في العشرينيات وعلى زعم زعمائها هي وليدة الغرب، تنطبق انطباقاً شاملاً على دراسات العرب الأقدمين أمثال ابن جني، ابو عبيدة وغيرهم من العرب.

٢. إن القرآن الكريم وهو نص إسلامي رئيس يستوعب ما جاء به الغربيون وهو خير نموذج تطبيقي لآراء الباحثين في الأسلوبيات الحديثة.

٣. أسلوبية الانزياح بأنواعها الثلاثة: الاستبدالية والتركيبية والصوتية تتجلى في محكم الكتاب الحكيم وهذا هوالذي يثبت إعجاز القرآن فهو الحق والحق يقال بأن القرآن العظيم يحتوى على كل رطب ويابس في الحاضر والغابر.

٤. إعجاز القرآن يعم ما تطرقنا إليه في دراستنا القصيرة وإعجازه فوق ما تدركه عقولنا وما عالجناه لا يكون إلا ندى في محيط اللانهاية.

٥. نود أن تكون هذه المقالة خطوة قصيرة في ارتقاء العالم الإسلامي وتنميته وكسرا للتحجر الذي تدثر به البعض ونافذة أمام الراغبين في الحق والحقيقة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أبوالعدوس، يوسف، (٢٠١٠م)، التشبيه والاستعارة من منظور مستأنف، الطبعة الثالثة، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.

٢. الأندلسي، أبوحيان محمد بن يوسف، (١٤٢٠ ه)، البحر المحيط في التفسير، بيروت: دارالفكر،ج ٦.

٣. ابن كثير الدمشقي، (١٤٢٠ه)، تفسيرالقرآن العظيم، بيروت: دارالكتب العلمية، ج٧.

٤. البحيري، أسامة، (٢٠٠٩)، البنية المتحولة في البلاغة العربية، الطبعة الأولى، كفر شيخ: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع.

٥. البغدادى، علاءالدينعليبنمحمد، (١٤١٥ه)، لباب التأويل في معان التنزيل، بيروت: دار الكتب العلمية.

٦. البيضاوي، أبوسعيدعبد الله بن عمر، (١٣٢٠ه)، أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل، القاهرة: مطبعة العامرة،ج:٤.

٧. الجنابي، أحمد نصيف، (٢٠١٠م)، البنية والأسلوب في التراكيب القرآنية وقضية الإعجاز مقاربة أسلوبية لسانية، الطبعة الأولى، عمان: داركنوز المعرفة العامية للنشر والتوزيع.

٨. الخويسكي، زينكامل، (٢٠٠٩)، في الأسلوبيات، الأزاراريطة: دارالمعرفة الجامعية.

٩. الزمخشري، محمود، (١٤٠٧)، الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل، بيروت: دار الكتاب العربي، ج٤.

١٠. سلوم، تامر، (١٩٩٦)، "الانزياح الصوتيالشعري"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد:١٢المأخوذ من الموقع: noormags.

١١. السيدقطب، (١٤١٢)، في ظلال القرآن، بيروت–القاهرة: دارالشروق،ج٧.

١٢. الصابوني، الشيخ محمدعلي (٢٠٠٦)، الإبداع البياني في القرآن العظيم و الأمثال والتشبيه والتمثيل والاستعارة والكناية مع الإمتاع بروائع الإبداع، الطبعة الأولى، بيروت: شركة أبناء الشريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع المكتبة العصرية.

١٣. الطنطاوي،السيدمحمد (١٤٢٢ه)، التفسير الوسيط للقرآنالكريم، دمشق: دارالفكر، ج٢.

١٤. علوان، سلمانمحمد، (٢٠٠٨م)، الإيقاع في شعر الحداثة، الطبعة الأولي، الإسكندرية العامرية.

١٥. عياشي، المنذر، (٢٠٠٩)، الأسلوبية وتحليل الخطاب، الطبعةالأولى، دمشق: مركز الإنماء الحضاري، دارالمحبة- دارالآية.

١٦. القزويني، الخطيب جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، التقديم:ياسين الأيوبي، (٢٠٠٨)، تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع، الطبعةالأولى، بيروت:شركة أبناءالشريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع المكتبة العصرية.

١٧. الكاشاني، ملافتح الله، (١٤٢٣ه)، زبدة التفاسير، قم: بنياد معارف إسلامي، ج١.

١٨. محمد ويس، أحمد، (٢٠٠٥)، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، الطبعة الأولى، بيروت: المؤسسة الجامعية.

١٩. ميرغني، هاشم، (٢٠٠٩)،"أسلوبية الإنزياح ودورها في التحليل النصي: رواية "عصافير آخر أيام الخريف نموذجا"، مجلة العلوم والثقافة، الرقم الخامس المأخوذ من الموقع: http//www.sustech.edv1s stsff.pvb1icarions

٢٠. وغليسي، يوسف، (٢٠٠٨)، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الطبعة الأولى، الجزائر: منشورات الاختلاف، وبيروت: الدار العربية للعلوم وناشرون.

٢١. هنداوي، عبد الحميد أحمد يوسف، (٢٠٠٨م)، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، بيروت: شركة أبناء الشريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، المكتبة العصرية.